

حصَادُ العَام

فضيلة الشيخ
سعد بن سعيد الحجري

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذي كان بعباده خبيرًا بصيرًا، وتبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، ولايته للأبرار، وعداوته للكفار، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي أرسله الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله وسلم عليه كلما اغتنمت الأعمار، وحفظ الليل والنهار.

ما بعد:

فإن الله جعل أيام الحياة الدنيا أيام عملٍ، جعلها الله تعالى للعمل، وجعل هذه الأيام ليلاً ونهارًا، وجعل الله تبارك وتعالى الليل يخلف النهار والعكس، وجعل هذه الأيام للحصاد، يحصد بعضها بعضًا، ويطوي بعضها بعضًا، ويخلف بعضها بعضًا؛ وما هذا الحصاد في هذه الأيام إلا أن الليل يطوي النهار ويخلفه ويزيله ويحل محله.

ولأن النهار يطوي الليل ويخلفه ويزيله ويحل محله.

ولأن في الليل عملاً لا يقبله الله في النهار.

ولأن في النهار عملاً لا يقبله الله في الليل.

ولأن الليل والنهار خزانتان للعمل، فمن عمل صالحًا فلنفسه، ومن أساء فعليها، ولا يظلم ربك أحدًا.

ولأن الليل والنهار يعملان في العبد، فيجب عليه أن يعمـــل فيهما كما يعملان فيه.

قال تعالى: **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْـــرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾** [الزمر: ٥].

وما هذا الحصاد في الأيام! يطوي بعضها بعضًـــا إلا لعـــدة أمور:

الأمر الأول: لأن أيام العمر مراحل:

كل مرحلة تطوي التي قبلها، وتحل محلها، وتزيلها؛ فمرحلـــة الطفولة تطوي مرحلة الحمل في البطن، ومرحلة الصبا تطوي مرحلة الطفولة وتحل محلها، ومرحلة الشباب تطوي مرحلة الصبا وتحـــل محلها، ومرحلةُ الكهولة تطوي مرحلة الشباب وتحل محلها، وتطوي مرحلة الشيخوخة والكبر مرحلة الكهولة وتحل محلها.

ويتحول الضعف في أول حياة الإنسان إلى قوة، ثم تتحـــول القوة إلى ضعف وشيبة، قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُـــوا أَشُـــدَّكُمْ ثُـــمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُـــوا أَجَلًـــا مُسَـــمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [غافر: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

الأمر الثاني: لأن أيام العمر أيام عمل:

ومن لم يستطع أن يعمل الآن لن يستطيع أن يعمل بعد الآن، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

الأمر الثالث: لأن أيام العمر أيام تكليف:

أمرنا الله فيها بالأوامر، فيجب أن نقول لأوامر الله: «سمعنا وأطعنا»، ونقول للنواهي: «سمعنا وانتهينا»، وأن نقول للأخبار: «سمعنا وصدقنا»، ونقول للأحكام: «سمعنا وطبقنا».

يقول تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، ويقول: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾، ويقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾، ويقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾.

ولذلك فإن تكاليف الله ميسورة، ليس فيها تكليف للعبد فوق طاقته.

الأمر الرابع: لأن أيام العمر أيام سبق إلى الخيرات: لعدة أسباب:

١- لأن أبواب الطاعة مفتحة: جميعها مفتحة، فنسبق إليها قبل أن تغلق فلا تفتح.

٢- لأن أجور الطاعة مضاعفة: الحسنة بعشر، وبســبعمائة، وبغير حساب.

٣- لأن ميدان الطاعة فسيح يسع الأمة: لو تنافست الأمة كلها لوجدت مجالاً تتنافس فيه، فليشــمِّر المشــمِّرُون، ويجتهــد المجتهدون.

٤- لأن باب التوبة مفتوح: لا يغلق إلا إذا طلعت الشمس من مغربها، أو بلغت الروح الحلقوم.

الأمر الخامس: لأن أيام العمر أيام كسب الحسنات:

إن لم نكسبها اليوم لن نستطيع أن نكســبها بعــد اليــوم، فاكتسب الآن قبل أن يحال بينك وبين الملايين مــن الحســنات؛ التسبيحة عند الموتى خير من الدنيا وما عليها، الركعة عند المــوتى خير من الدنيا وما عليها.

الأمر السادس: لأن أيام العمر أيام تكفير وتطهير الــذنوب والسيئات:

تستطيع الآن أن تطهر ما عليك من ذنوب وسيئات، لكن يوم القيامة لن تستطيع أن تطهر ولو ذنبًا واحدًا.

الأمر السابع: لأن ما مضى فيها لن يعود إلى يوم القيامة:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما نــدمت علــى شــيء كندمي على يوم مضى من عمري و لم يزد فيه عملي».

وقال الحسن البصري رحمه الله: «يا ابن آدم، إنما أنت أيــام

مجموعة فإذا مضى يومك مضى بعضك».

ويقول: «ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم! أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، فاغتنمني بعمل صالح فإني لن أعود إلى يوم القيامة».

الأمر الثامن: لأن أيام العبد خمسة:

١- يوم مفقود: وهو أمسُك الذي مضى، ولن يعود إلى يوم القيامة.

٢- يوم مشهود: وهو يومك الذي أنت فيه.

٣- يوم مورود: فأما المورود فهو يوم غدك، فما الذي خططنا ليوم غد.

٤- يوم موعود: وهو يوم موتك، إما في روضة من رياض الجنة، وإما في حفرة من حفر النيران.

٥- يوم ممدود: وهو يوم القيامة:

إما أن يخلد العبد في الجنة فتعطي أربعًا، ويقال لك أربع:

أ- إن لك أن تحيا، فلا تموت أبدًا.

ب- وإن لك أن تشب، فلا تهرم أبدًا.

ج- وإن لك أن تصح، فلا تسقم أبدًا.

د- وإن لك أن تنعم، فلا تبأس أبدًا.

وإما أن يخلد العبد في نار جهنم فيتمنى أربعًا، فلا يجدها:

أ- الخروج من النار، قال تعالى: ﴿**فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ [غافر: ١١].

ب- يقول لخزنة جهنم التسعة عشر: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر: ٤٩]، فلا يوافقوا على طلبهم، وإنما يستمر الخزنة في تعذيبهم.

ج- يقول لمالك خازن النار: ﴿ **يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ** ﴾ [الزخرف: ٧٧].

د- يقولون لأهل الجنة: ﴿ **أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وليعلم المسلم أن العقلاء خمسة:

١- العاقل الأول: هو الذي يرضي ربه قبل أن يلقاه، ليرضى عنه رضوانًا أبديًّا لا يسخط عليه أبدًا، ويسكنه دار الرضوان، لأنه عمل على إرضاء الله عز وجل فوجد ثمرة هذا الإرضاء، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأدخلهم دار الرضوان.

٢- العاقل الثاني: هو الذي يستعد لقبره قبل أن ينزله، فإننا نازلون القبور شئنا أم أبينا، فهو إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وترحل إلى القبر ومعك ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد: يرجع الأهل والمال الذي طالما صرفت وقتك لهم، ويبقى العمل.

٣- العاقل الثالث: هو الذي يترك الدنيا قبل أن تتركه، فإن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، من جعلها همَّه جعل الله فقره بين عينيه، فلا يرى إلا الفقر، ويشتت الله عليه شمله، أي: لا يجــد أمنًا ولا طمأنينة ولا سعادة، ولا يأتيه إلا ما كتب له.

٤- العاقل الرابع: هو الذي لا يغفل عن أربع ساعات هي:

* ساعة يناجي فيها ربه.
* ساعة يحاسب فيها نفسه.
* ساعة يتفكر في خلق السموات والأرض.
* ساعة لمطعمه ومشرابه وأهله ونفسه.

٥- العاقل الخامس: هو الذي حصد في عامه ثمانيــة أمــور وهي:

١- التذكر.

٢- الشكر.

٣- اغتنام خمسًا قبل خمس.

٤- الاعتبار بالآيات الكونية.

٥- حفظ الأعمال.

٦- حفظ الأعمار.

٧- النظر في ميزانية الأعمال.

٨- النظر في ميزانية الأعمار.

أما هذه الأمور الثمانية، فهي:

الأول: التذكر:

* يتذكر الإنسان أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وأن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منها بنون، فيكون من أبنـــاء الآخـــرة، ولا يكون من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حســـاب ولا عمل.

* يتذكر بأن الدنيا متاع الغرور، ما مثلها إلا مثل أرض نزل عليها المطر فاخضرَّت، ثم اصفرَّت، ثم يبســـت، ثم تكســـرت، ثم تفرقت فأصبحت أثرًا بعد عين.

* يتذكر أن الدنيا متاع زائل، ما هي إلا كسحابة صيف تأتي بعد الظهر وتنتهي بعد العصر، وكظل شجرة سرعان ما يتحول إلى غيره، وما هي إلا كثلج وضع في شمس سرعان ما يذوب.

* يتذكر أن الدنيا متاع قليل، فما هي إلا كمثل من أدخـــل أصبعه في بحر ثم أخرجها، كم يعود به؟ لا يعود بشيء، لو عـــاش مائة سنة، فلا تساوي مائة سنة شيئًا مع حياة أبدية، مع العلـــم أن أعمار أمة محمد ﷺ «ما بين الستين والسبعين وقليل من يتجـــاوز ذلك».

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَـــا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ [النور: ٣٨].

* يتذكر بأن الدنيا دار سفر، ودار ظعن، وليست بدار إقامة ولا وطن، المؤمن فيها غريب، يعيش وهو غريـــب، إذا أصـــبح لا ينتظر المساء، وإذا أمسى لا ينتظر الصباح، يأخذ من صحته لسقمه، ومن حياته لموت.

* يتذكر أن العبد المفرط تأخذه الحسرة في ثلاثة مواطن:

١- عند الموت: يتحسر على تفريطه في العمل الصالح، قـــال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُــونِ * لَعَلِّـــي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِـــنْ وَرَائِهِـــمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

٢- عند الحساب: قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَـــرَى إِذِ الْمُجْرِمُـــونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة: ١٢].

٣- عند العذاب: قال تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَـــا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** ﴾ [فـــاطر: ٣٧].

الثاني: الشكر وهو الأمر الثاني الذي يحصده العاقل في عامه:

* أن يشكر الله الذي أطال عمره وأحسن عمله، لأن «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**»، وعند ابن ماجه: أن أخوين بايعا رسول الله ﷺ في ساعة واحدة، وبعد عام كامل دُعـــي بالجهـــاد فخرجـــا، واستشهد أحدهما، وعاد الثاني وبقي بعد أخيه سنة كاملة ثم مات علـــى

فراشه، فرأى طلحة أن الذي مات على فراشه أسبق إلى الجنة من الـــذي استشهد في سبيل الله فاستغرب، فقال رسول الله ﷺ: «**أليس أنه بقـــي بعد أخيه سنة كاملة، صلى كذا وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه، لما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض**»(١).

* مع أن الأول مجاهد في سبيل الله، والآخر مات على فراشه، لكنه عمل بعده سنة كاملة، ومع أن للمجاهد في سبيل الله مائـــة درجة ما بين الدرجة والدرجة مثل ما بين السماء والأرض، إلا أن الثاني سبق الأول بطول العمر وحسن العمل، ونشكر الله على طول العمر، ونسأله حسن العمل.

* نشكر الله عز وجل على أن هدانا للإســـلام، ومـــا كنـــا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

* نشكر الله عز وجل يوم أن أثابنا على الحسنة الواحدة بعشر حسنات، ربح طاعة، ربح حلال، ربح شرف، ربح بياض وجـــه، ربح نور القلب، وأثابنا على الحسنة سبعمائة وبغير حساب.

* نشكر الله عز وجل الذي لم يجز على الســـيئة إلا بســـيئة واحدة، ولم يكتبها على العبد إلا بعد مضي ست ساعات، فـــإن تاب العبد ألقاها الملك، وإن لم يتب العبد كتبها سيئة واحدة، قال ﷺ: «**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبـــد المسلم المخطئ أو المسيء، فإن ندم واستغفر منها ألقاهـــا، وإلا كتبت واحدة**»(٢).

---

(١) ابن ماجه: كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، وصححه الألباني برقم (٣٩٢٥).
(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠٩٧).

* نشكر الله عز وجل الذي يذهب السيئات بالحسـنات، قـال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤]، كما نشكره عز وجل أن بدل السيئات بالإيمان والعمل الصالح والتوبة، قال الله عز وجل: ﴿ **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [الفرقان: ٧٠].

* نشكر الله عز وجل الذي مَنْ علينا بمنن كثيرة، وبنعم كثيرة وعظيمة، لا نستطيع أن نعدها أو نحصيها، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴾ [الفرقان: ٦١-٦٢].

الثالث: اغتنام خمس قبل خمس:

أ- اغتنام الحياة قبل الموت: فإن من اغتنمها بعمـل صـالح أحب لقاء الله عز وجل وسعد في آخرته سعادة أبدية.

ب- اغتنام شبابه قبل هرمه: لأن الشباب هو فتـرة القـوة الوحيدة، وسن أهل الجنة ٣٣ سنة.

ج- اغتنام صحته قبل سقمه: لأنها مدة النشاط، ومدة اللذة والصحة، وهو الزمن الذي يؤدي فيه الإنسان العمل على الوجـه المطلوب.

د- اغتنام غناه قبل فقره: لأن الغنى كثرة أجر لمن أنفق ماله في سبيل الله عز وجل، وانظر إذا قلـت: «سـبحان الله» بعشـر حسنات، وإذا أنفقت ريالاً بسبعمائة حسـنة، أي: بزيـادة ٦٩٠

حسنة على التسبيحة! قال تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وانظر للذي تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله يوم غزوة تبوك، قال ﷺ: «**لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة**»(١).

هـ- اغتنام الفراغ قبل الشغل: فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل.

الرابع: الاعتبار بالآيات الكونية:

وسأذكرك أيها المسلم بدروس نغفل عنها:

أ- الاعتبار بالليل الذي نتذكر به القبر فنكثر من زيارة المقابر الزيارة الشرعية عملاً بقول النبي ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»(٢).

ب- الاعتبار بالنوم: الذي يذكرنا بالموت بنص الآية والحديث، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ** ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الزمر: ٤٢].

(١) مسلم كتاب الإمارة باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها (١٨٩٢).
(٢) مسلم كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (٩٧٧).

أما الحديث فقال ﷺ: «**النوم أخو الموت وأهـــل الجنـــة لا ينامون**»(١)، وبهذا الاعتبار يكثر من ذكر الموت عملاً بالحـــديث: «**فأكثروا من ذكر هادم اللذات**»(٢).

ج- الاعتبار بالنهار: الذي يذكر بالآخرة باجتماع النـــاس وزحام الناس، فيجعل الآخرة همه لكي يجمع الله عليه شمله ويجعـــل غناه في قلبه وتأتيه الدنيا وهي راغمة.

د- الاعتبار بالشمس: التي تذكر بالحساب يوم أن يجد حرّها ويتصبب العرق وتدنو من روس الخلائق، تكون منهم قدر ميـــل، قال سليم بن عامر: فلا أدري هل أراد بميـــل، ميـــل المكحلـــة أو المسافة في الأرض. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**يعرق النـــاس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا**»(٣).

هـــ- الاعتبار بالقمر: لأن الهلال يبدأ صغيرًا ثم يكبر حـــتى يكمل في الخامس عشر، ثم يتناقص شيئًا فشيئًا حتى يعود كما بدأ، ويختفي في ليلة أو ليلتين آخر الشهر، وهو يذكر بحـــال الإنســـان عندما يولد وعندما يشيب وعندما يهرم.

و- الاعتبار بالفصول الأربعة:

ففصلاً الشتاء والصيف: يذكران بالنار.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والبزار وصححه الألباني في الصحيحة (٣/٧٤).

(٢) صححه الألباني في إرواء الغليل (٣/١٤٥).

(٣) البخاري كتاب الرقاق باب قول الله تعالى: { **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** } (٦٥٣٢).

وفصلا الربيع والخريف: يذكران بالجنة.

* نتذكر في هذا العام مثلاً كم من ميت مات، كان معنـــا في أول هذا العام لكنه لم يدرك آخر العام!

*نتذكر كم مولود لم يكن موجودًا أول العام أصبح آخر العام مولودًا! إنها أرحام تدفع وأرض تبلع!!

* نتذكر كم من غني في أول العام أصبح في آخر العام فقيرًا، والعكس.

* نتذكر كم من صاحب ملك نزع منه: كان له الملـــك أول العام، وأصبح آخر العام ليس له ملك.

الخامس: حفظ الأعمال:

وتحفظ الأعمال بثلاثة أمور، وإن اقتصرنا على أمرين لكـــان صحيحًا:

١- الإخلاص.

٢- المتابعة.

٣- **إتقان** العمل.

أما الإخلاص: فتجعل كل شيء لله، لا تجعل مع الله ندًا ولا شريكًا، فبالإخلاص يحفظ العمل، ويحفظ الإيمان، وتحفظ الفطـــرة، وينجو من النار، ويأمن من الفتنة.

أما المتابعة: أي متابعة الرسول ﷺ، فإنه أسوتنا الذي نتأســـى

به، وقدوتنا الذي نقتدي به، ومعلمنا الذي نتعلم منـــه، والهـــادي الذي نهتدي به، ومعلمنا الذي نتعلم منه، والهادي الذي نهتدي به، من اقتدى به دخل الجنة، ومن لم يقتد فقد أبى دخول الجنة، يقول ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(1)، ويقول: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله! ومن يـــأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(2).

* **أما إتقان العمل**: فلا يكون العمل مُتقنًـــا إلا بـــالإخلاص والمتابعة، قال ﷺ: «**لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يـــوم القيامـــة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا، فيجعلها الله عز وجـــل هبـــاءً منثورًا**» قال ثوبان: يا رسول الله! صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم، ومـــن جلـــدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»(3).

السادس: حفظ الأعمار:

وتحفظ الأعمار بعشرة أمور:

١- التوبة: وهي الإنابة لله والاستسلام له، وطلب الهدايـــة وأسبابها، والعمل الصالح، ومداومة التوبـــة، واســـتعجال التوبـــة،

---

(١) مسلم كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٤٤٦٨).

(٢) البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٠).

(٣) ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الذنوب وصححه الألباني برقم (٤٢٤٥).

وإصلاح الماضي بالندم، وإصلاح الحاضر بالإقلاع عن الذنب وبالإخلاص، وبردِّ المظالم إلى أهلها.

٢- الاستقامة: وهي الثبات على دين الله عز وجل، والاستقامة على الإيمان والتقوى، ومداومة العمل الصالح، والدعاء، وقراءة القرآن على الدوام، ومصاحبة الصالحين، والعلم النافع، والاقتداء بالأنبياء.

٣- مراقبة الرب عز وجل: في كل مكان وفي كل زمان، وعلى كل حال.

٤- حفظ النهار بالصيام: لأنه جنة من الذنوب والمعاصي والشر والفساد والآثام والنار، وباب من أبواب الجنة، ومن أبواب الخير.

٥- حفظ الليل بالقيام: لأنه شعار الصالحين، ودأب الصالحين، وبه تتحقق العبودية والشكر لله، وبه يُجاهد الشيطان، وبه تفتح أبواب الخير، وبه تغلق أبواب الشر، وسبب من أسباب دخول الجنة، وهو سبب من أسباب النجاة من النار، ومرضاة لرب العالمين، ومغفرة للذنوب، وبه يجاهد الإنسان نفسه ويجاهد به عدوه، وهو مطرد لداء الجسد.

